القمر

عناصر الموضوع

مفهوم القمر	٨
القمر في الاستعمال القرآني	٩
الألفاظ ذات الصلة	١٠
القسم بالقمر في القرآن الكريم	١٣
القمر من مخلوقات الله عز وجل	١٤
القمر والشمس	١٧
القمر والحساب	٢١
القمر وقيام الساعة	٢٣

Made searchable using ScribeTools.com

مفهوم القمر

أولًا: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: «القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض في شيء، ثم يفرع منه، من ذلك القمر: قمر السماء، سمي قمرًا لبياضه، وحمار أقمر، أي: أبيض، وتصغير القمر قمير، ويقال: تقمرته: أتيته في القمراء»[(١)].

وجاء في الصحاح في مادة (ق م ر): «(القمر) بعد ثلاث إلى آخر الشهر، سمي قمرا لبياضه، والقمر أيضا تحير البصر من الثلج، وقد (قمر) الرجل من باب طرب، و(القمري) منسوب إلى طير (قمر) بوزن حمر جمع (أقمر) وهو الأبيض، أو جمع (قمري) مثل رومي وروم، والأنثى (قمرية) والذكر ساق حر والجمع (قماري) غير مصروف، وليلة (قمراء) أي: مضيئة، و(أقمرت) ليلتنا أضاءت، وأقمرنا طلع علينا القمر»[(٢)].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

القمر: جرمٌ سماويٌّ صغيرٌ يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعًا له، ومنه القمر التابع للأرض، والأقمار التي تدور حول كواكب المريخ وزحل والمشتري[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٢٥.
(٢) مختار الصحاح، الرازي، ١/ ٢٦٠.
(٣) انظر: القاموس الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢/ ٧٥٨.

القمر في الاستعمال القرآني

وردت مادة (قمر) في القرآن الكريم (٢٧) مرة[(١)].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الاسم	٢٧	﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ٣٩﴾ [يس:٣٩]

وجاء القمر في القرآن بمعناه في اللغة وهو، قمر السماء، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[يونس: ٥][(٢)].

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله إبراهيم جلغوم، ص ٩٥٣-٩٥٤.
(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٦٨٤.

Made searchable using ScribeTools.com

الألفاظ ذات الصلة

١ النجوم:

النجوم لغة:

قال ابن فارس: «النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع وظهور، ونجم النجم: طلع، ونجم السن والقرن: طلعا. والنجم: الثريا، اسم لها»[(١)].

وفي الحديث: هذا إبان نجومه، أي: وقت ظهوره، يعني النبي صلى الله عليه وسلم، يقال: نجم النبت ينجم إذا طلع، وكل ما طلع وظهر فقد نجم[(٢)].

مما سبق يمكن تعريف النجم لغة: هو كل شيء يظهر.

النجوم اصطلاحًا:

قال الكفوي: «كل طالع فهو نجم، يقال: نجم السن، والقرن، والنبت إذا طلعت»[(٣)] أو: «أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها، ومواضعها النسبية في السماء ثابتة، وهو عبارة عن جسم كروي ضخم ولامع ومتماسك بفعل الجاذبية»[(٤)].

الصلة بين النجم والقمر:

من خلال النظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي للنجم نجد أن هناك فرقا واضحا بين النجم والقمر، فالقمر يدور حول كوكب أكبر منه، أما النجم فهو من تدور حوله الكواكب.

٢ الكواكب:

الكواكب لغة:

قال ابن منظور: «الكوكب معروف، من كواكب السماء، ويشبه به النور فيسمى كوكبا، وقال ابن سيده: الكوكب والكوكبة: النجم، كما قالوا عجوز وعجوزة، وبياض وبياضة»[(٥)].

وقال الفيروزآبادي: «الكوكب: النجم، كالكوكبة، وبياض في العين، وما طال من النبات، وسيد القوم، وفارسهم، وشدة الحر»[(٦)].

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٣٩٦.
(٢) لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ٥٦٨.
(٣) الكليات ص ٨٨٧.
(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٩٠٥.
(٥) لسان العرب، ١/ ٧٢٠.
(٦) القاموس المحيط ص ١٣١.

مما سبق يمكن تعريف الكوكب لغة بأنه النجم، وهو مقدمة كل شيء.

الكواكب اصطلاحًا:

قال الكفوي: «الكواكب: أجسام بسيطة مركوزة في الأفلاك، كالفص في الخاتم، مضيئة بذواتها، إلا القمر»(١). أو: «جرم سماوي يدور حول الشمس ويستضيء بضوئها وأشهر الكواكب مرتبة على حسب قربها من الشمس عطارد الزهرة الأرض المريخ المشتري زحل يورانس نبتون بلوتون»(٢).

الصلة بين الكوكب والقمر:

يعتبر الكوكب أكبر حجما من القمر، بل إن القمر هو جزء من الأقمار التي تدور حول الكوكب.

٣ الهلال:

الهلال لغة:

قال ابن فارس في مادة (هل): «الهاء واللام أصل صحيح يدل على رفع صوت، ثم يتوسع فيه فيسمى الشيء الذي يصوت عنده ببعض ألفاظ الهاء واللام. ثم يشبه بهذا المسمى غيره فيسمى به، والهلال الذي في السماء سمي به لإهلال الناس عند نظرهم إليه مكبرين وداعين، ويسمى هلالا أول ليلة والثانية والثالثة، ثم هو قمر بعد ذلك، يقال: أهل الهلال واستهل، ثم قيل على معنى التشبيه: تهلل السحاب ببرقه: تلألأ، كأن البرق شبه بالهلال»(٣).

الهلال اصطلاحًا:

قال الكفوي: «القمر إلى ثلاث ليالٍ، وهو أيضا بقية الماء في الحوض»(٤)، أو: «أول القمر إلى سبع ليالٍ من الشهر وآخره من ليلة السادس والعشرين»(٥).

الصلة بين الهلال والقمر:

القمر هو الاسم الشامل في جميع أطواره، بينما تطلق تسمية الهلال على القمر إلى سبع ليالٍ من الشهر وآخره من ليلة السادس والعشرين.

---

(١) التعريفات ص ١٨٨.
(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٧٩٣.
(٣) مقاييس اللغة، ٦/ ١١.
(٤) الكليات ص ٩٦٣.
(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢/ ٩٩٢.

Made searchable using ScribeTools.com

٤ الشمس:

الشمس لغة:

الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلة استقرار، فالشمس معروفة، وسميت بذلك؛ لأنها غير مستقرة، ويقال: شمس يومنا وأشمس، إذا اشتدت شمسه[(١)].

الشمس اصطلاحًا:

قال الجرجاني: «الشمس هو كوكب مضيء نهاري»[(٢)]، أو: «النجم الرئيس الذي تدور حوله الأرض وسائر كواكب المجموعة الشمسية»[(٣)].

الصلة بين الشمس والقمر:

الشمس جسم مضيء، والقمر جسم معتم ونوره ليس نابع منه وإنما انعكاس عليه.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ٢١٢، مجمل اللغة، ابن فارس ١/ ٥١١.
(٢) التعريفات ص ١٢٩.
(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١/ ٤٩٤.

القسم بالقمر في القرآن الكريم

وردت العديد من الآيات في القرآن الكريم يقسم الله عز وجل فيها بالقمر، أذكر بعضًا منها فيما يلي:

قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢].

بعدما أبطل سبحانه ما أنكره الذين في قلوبهم مرض، وما أنكره الكافرون مما جاء به القرآن الكريم، معبرًا عن ذلك بقوله (كلا) وهو حرف زجر وردع وإبطال لكلامهم السابق، والواو في قوله (والقمر) للقسم، والمقسم به ثلاثة أشياء: القمر والليل والصبح، وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ [المدثر: ٣٥].

أي: كلا، ليس الأمر كما أنكر هؤلاء الكافرون، من أن تكون عدة الملائكة الذين على سقر تسعة عشر ملكًا، أو من أن تكون سقر مصير هؤلاء الكافرين، أو من أن في قدرتهم مقاومة هؤلاء الملائكة، فقد أقسم سبحانه بهذه الأمور الثلاثة؛ لزيادة التأكيد، ولإبطال ما تفوه به الجاحدون(١).

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٦-١٩].

أقسم سبحانه ببعض مخلوقاته على أن مشيئته نافذة، وقضاءه لا يرد، وحكمه لا يتخلف، وكان مما أقسم الله عز وجل به من مخلوقاته القمر، فقال: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ واتساق القمر: اجتماع ضيائه ونوره، وهو افتعال من الوسق، وهو الجمع والضم، وذلك يكون في الليلة الرابعة عشرة من الشهر، والمعنى: أقسم بالقمر إذا ما اجتمع نوره واكتمل ضياؤه وصار بدرًا متلألئًا(٢).

قال طنطاوي: «وفي القسم بهذه الأشياء دليل واضح على قدرة الله تعالى الباهرة، لأن هذه الأشياء تتغير من حال إلى حال، ومن هيئة إلى هيئة. فالشفق حالة تأتى في أعقاب غروب الشمس، والليل يأتى بعد النهار، والقمر يكتمل بعد نقصان، وكل هذه الحالات الطارئة دلائل على قدرة الله عز وجل»(٣).

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ٢] أقسم الله تعالى في مطلع سورة الشمس بسبعة أشياء من ضمنها القمر، فقد أقسم الله عز وجل بالقمر المنير إذا تبع الشمس في الطلوع بعد غروبها، وبخاصة في الليالي البيض: وهي الليالي الثالثة عشرة إلى السادسة عشرة وقت امتلائه وصيرورته بدرًا بعد غروب الشمس إلى الفجر، وهذا قسم بالضوء وقت الليل كله(٤).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ٣٢١، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨٩٧.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٥/ ٥٤٨.

(٣) التفسير الوسيط، ١٥/ ٣٣٧.

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٩/ ٤٨٠.

www. modoee.com
Made searchable using ScribeTools.com

القمر من مخلوقات الله عز وجل

إن القمر آية عظيمة من آيات الله، فهذا الكوكب العظيم بحجمه وشكله ونوره ومنازله ودورته وآثاره في الحياة وقيامه في الفضاء بلا عمد يدل دلالة بليغة على عظمة الخالق جل جلاله، وأن لهذا الكون إلهًا عظيمًا قويا قديرًا له صفات الكمال والجمال، فهذا النظام البديع للقمر، والحركة المتزنة له، والدقة الكاملة المتكاملة لبزوغه وطلوعه، والمنازل المتنوعة والمراحل المختلفة التي يمر بها في كل ليلة من لياليه يبدأ هلالًا وليدًا حتى يصير بدرًا منيرًا وقمرًا متكاملًا، وما ينشأ عنه من ظواهر الليل والنهار والشروق والغروب والخسوف والكسوف، وغيره من الدلائل الربانية والمعجزات الإلهية ما يدهش العقول ويحير الألباب ويوجب التأمل في مخلوقات الله عز وجل.

أولًا: القمر آية من آيات الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

المراد بالآيات في هذه الآية العلامات الدالة دلالة واضحة على وحدانية الله تعالى وقدرته، والمعنى: ومن آياته على وحدانيته وقدرته تعالى وعلى وجوب إخلاص العبادة له وجود الليل والنهار والشمس والقمر بتلك الطريقة البديعة، حيث إن الجميع يسير بنظام محكم، ويؤدى وظيفته أداء دقيقا، كما قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

فتكرار ذكر القمر في القرآن الكريم واعتباره آية من آيات الله عز وجل فيه إشارة عظيمة على وجوب التفكر والتأمل في هذا الكوكب الدري الذي يأخذ نوره من أشعة الشمس ثم يعود فيعكس هذا النور على الأرض[(١)].

ثانيًا: القمر مخلوق لله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

في هذه الآية دليل على قدرته ووحدانيته، فهو وحده سبحانه الذي خلق بقدرته الليل والنهار بهذا النظام البديع، وخلق الشمس والقمر بهذا الإحكام العجيب (كلٌّ) أي: كل واحد من الشمس والقمر يسير في فلكه وطريقه المقدر له بسرعة وانتظام، كالسابح في الماء[(٢)].

(١) انظر: تفسير المراغي، ٢٤/ ١٣٤، فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٥٩٤.
(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن، ٣/ ٢٢٣.

ثالثًا: سجود القمر لله عز وجل:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨].

السجود في اللغة: التذلل والخضوع مع انخفاض بانحناء وما يشبهه، وخص في الشرع بوضع الجبهة على الأرض بقصد العبادة، والمعنى هنا: دخول الأشياء جميعها تحت قبضة الله تعالى وتسخيره وانقيادها لكل ما يريده منا انقيادا تاما، وخضوعها له عز وجل بكيفية هو الذي يعلمها، فنحن نؤمن بأن هذه الكائنات تسجد لله تعالى ونفوض كيفية هذا السجود له سبحانه[١].

قال ابن تيمية: «والسجود من جنس القنوت، فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل، وكل مخلوق فقد تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته، ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ووضع جبهة في رأس مدور على التراب، فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان، ومن الأمم من يركع ولا يسجد وذلك سجودها، كما قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

وإنما قيل: ادخلوه ركعا ومنهم من يسجد على جنب كاليهود، فالسجود اسم جنس، ولكن لما شاع سجود الآدميين المسلمين صار كثير من الناس يظن أن هذا هو سجود كل أحد كما في لفظ القنوت»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهو سجود الذل والقهر والخضوع، فكل أحد خاضع لربوبيته ذليل لعزته مقهور تحت سلطانه تعالى»[٣].

والسجود للقمر ولباقي المخلوقات في الآية هو سجود حقيقي، وهذا ما يؤكده حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: **(قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذرٍ رضي الله عنه حين غربت الشمس: (أتدري أين تذهب؟)، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨])**[٤].

(١) انظر: الدر المصون، الحلبي، ٨/ ٢٤٥.

(٢) جامع الرسائل، ١/ ٢٨.

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٠٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم ٣١٩٩، ٤/ ١٠٧.

Made searchable using ScribeTools.com

رابعًا: النهي عن عبادة القمر:

قال تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

لما بين الحق سبحانه أن الشمس والقمر من آياته نهى عباده عن عبادتها، وأمرهم بأن لا يسجدوا للشمس، ولا للقمر؛ لأنهما مخلوقان من مخلوقاته، فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته وعبادته؛ ولهذا أمرهم بالسجود له وحده جل وعلا؛ لأنه الخالق المبدع لهما ولكل شيء، إن كانوا يعبدونه حقيقة، ولما كان السجود أقصى مراتب العبادة ونهاية التعظيم ولا يليق إلا بمن كان أشرف الموجودات وأعظمها كان لا بد من تخصيصه به عز وجل، والنهي عن السجود لغيره.

وقيل: وجه تخصيصه به عز وجل أنه كان ناس يسجدون للشمس والقمر، كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن ذلك.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾، فنهى عن السجود للشمس وللقمر، وإن كثرت منافعهما، ثم أمر سبحانه بالسجود له وحده؛ لأنه الخالق لهما ولكل موجود، فقال جل جلاله: ﴿وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ أي: إن كنتم موحدين، غير مشركين[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾ [الأنعام: ٧٧].

يبين سبحانه حالة من الحالات التي برهن بها إبراهيم على وحدانية الله عز وجل، فلما رأى إبراهيم القمر مبتدئا في الطلوع منتشرا ضوؤه من وراء الأفق قال هذا ربي. فلما أفل القمر كما أفل الكوكب من قبله قال مسمعًا من حوله من قومه: لئن لم يهدني ربي إلى جناب الحق وإلى الطريق القويم الذي يرتضيه لأكونن من القوم الضالين عن الصراط المستقيم، لأن هذا القمر الذي يعتوره الأفول أيضًا لا يصلح أن يكون إلهًا[(٢)].

قال طنطاوي: «وفي قول إبراهيم لقومه هذا القول تنبيه لهم لمعرفة الرب الحق وأنه واحد وأن الكواكب والقمر كليهما لا يستحقان الألوهية، وفي هذا تهيئة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأن له ربا غير الكواكب، ثم عرض بقومه بأنهم ضالون، لأن قوله «لأكونن من القوم الضالين» يدخل على نفوسهم الشك في معتقدهم أنه لون

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٢١/ ٤٧٣، تفسير السمرقندي، ٣/ ٢٢٧.
(٢) انظر: تفسير الشعروواي، ٦/ ٣٧٤٩.

من الضلال، وإنما استدل على بطلان كون القمر إلهًا بعد أفوله ولم يستدل على بطلان ذلك بمجرد ظهوره مع أن أفوله محقق لأنه أراد أن يقيم استدلاله على المشاهدة؛ لأنها أقوى وأقطع لحجة الخصم»(1).

القمر والشمس

الشمس والقمر من مخلوقات الله عز وجل، وقد اجتمعا في القرآن الكريم (١٩) مرة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك علاقة قوية جدا تربطهما ببعضهما البعض، هذا ما ستتعرف عليه من خلال النقاط الآتية.

أولًا: التسخير والجريان:

قال ابن منظور: «سخرته بمعنى قهرته وذللته، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]؛ أي: ذللهما، والشمس والقمر مسخران يجريان مجاريهما، أي: سخرا جاريين عليهما، والنجوم مسخرات، قال الأزهري: جاريات مجاريهن، وسخره تسخيرًا: كلفه عملًا بلا أجرة، وكذلك تسخره، وكل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر، فذلك مسخر، وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].

قال الزجاج: تسخير ما في السماوات تسخير الشمس والقمر والنجوم للآدميين، وهو الانتفاع بها في بلوغ منابتهم والاقتداء بها في مسالكهم، وتسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها؛ وهو سخرة لي وسُخْرِيّ

(1) التفسير الوسيط، ٥/ ١١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

وسِخْرِيّ»[1].

الآيات التي تحدثت عن التسخير والجريان:

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [النحل: ١٢].

قوله: (سخر) من التسخير بمعنى التذليل والتكليف، يقال، سخر فلان فلانا تسخيرًا، إذا كلفه عملا بلا أجرة، والمراد به هنا الإعداد والتهيئة لما يراد الانتفاع به، أي: ومن آياته سبحانه الدالة على وحدانيته وقدرته، أنه سبحانه سخر لكم (الشمس والقمر) يدأبان في سيرهما بدون كلل أو اضطراب، بل يسيران من أجل منفعتكم ومصلحتكم بنظام ثابت، وأنه سبحانه أوجد النجوم مسخرات بأمره وإذنه، لكي تهتدوا بها في ظلمات البر والبحر[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أي: وخلق الشمس والقمر والنجوم كونهن مذللات خاضعات لتصرفه، منقادات لمشيئته، كأنهن مميزات أمرن فانقدن، فتسمية ذلك أمرًا على سبيل التشبيه[3].

قال الألوسي: «ويصح حمل الأمر على الإرادة، أي: هذه الأجرام العظيمة والمخلوقات البديعة منقادة لإرادته. ومنهم من حمل الأمر على الأمر الكلامي وقال: إنه سبحانه أمر هذه الأجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة على الوجه المخصوص إلى حيث شاء، ولا مانع أن يعطيها الله إدراكا وفهما لذلك»[4].

وبنفس المعنى في الآيتين السابقتين قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الرعد: ٢].

أي: أن من مظاهر فضله أنه سبحانه سخر ذلك وأخضع لقدرته الشمس والقمر، بأن جعلهما طائعين لما أراده منهما من السير في منازل معينة، ولأجل معين محدد لا يتجاوزانه ولا يتعديانه، بل يقفان عند نهاية المدة التي حددها سبحانه لوقوفهما وأفولهما[5].

وبنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [فاطر: ١٣].

وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

بيان لدقة نظامه سبحانه في كونه، وأن

(١) لسان العرب، ابن منظور ٤/ ٣٥٣.
(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ١١/ ١٢١.
(٣) انظر: تفسير الشعراوي، ٧/ ٤١٦١.
(٤) روح المعاني، ٤/ ٣٧٧.
(٥) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٧/ ٣٨٩٠.

هذا الكون الهائل يسير بترتيب في أسمى درجات الدقة وحسن التنظيم، فلا يصح ولا يتأتى للشمس أن تدرك القمر في مسيره فتجتمع معه بالليل، وكذلك لا يصح ولا يتأتى أن الليل أن يسبق النهار بأنه يزاحمه في محله أو وقته، وإنما كل واحد من الشمس والقمر والليل والنهار يسير في هذا الكون بنظام بديع قدره الله تعالى له، بحيث لا يسبق غيره أو يزاحمه في سيره[1].

ثانيًا: الإضاءة والإنارة:

ذهب كثير من أئمة اللغة إلى أن الضوء في اللغة أقوى من النور من حيث الاستعمال، وأن الضوء ما كان صادرًا من ذات الشيء، وأن النور ما كان بالعرض والاكتساب من الغير، يقول الزبيدي: «الضوء أقوى من النور، قاله الزمخشري، وتبعه الطيبي، واستدل بقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: ٥].

وقيل: الضوء لما بالذات كالشمس والنار، والنور لما بالعرض والاكتساب من الغير»[2].

ويقول في موضع آخر: «وقيل: الضياء ذاتيٌ والنور عرضيٌ، وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور»[3].

ولم يختلف كلام المفسرين عن كلام أهل اللغة، فذهب كثير منهم إلى أن الضوء أقوى من النور، والضياء هو ما كان بالذات، والنور ما كان بالعرض.

وفي هذا يقول الشوكاني: «قيل: الضياء أقوى من النور، وقيل: الضياء هو ما كان بالذات، والنور ما كان بالعرض؛ ومن هنا قال الحكماء: إن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس»[4].

وقال البيضاوي: «وقيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرًا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها»[5].

ويقول ابن كثير: «يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءًا، وجعل شعاع القمر نورًا، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل»[6].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: ٥].

(١) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ٣/ ٢١٤٩.
(٢) تاج العروس، ١/ ١٦٤.
(٣) المصدر السابق، ١/ ٣٥٧٨.
(٤) فتح القدير، ٢/ ٦١٥.
(٥) أنوار التنزيل، البيضاوي، ١/ ١٨٥.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٥٣٥.

Made searchable using ScribeTools.com

والمعنى: الله تعالى وحده هو الذي جعل لكم الشمس ذات ضياء، وجعل لكم القمر ذا نور، لكي تنتفعوا بهما في مختلف شئونكم[1].

قال الجمل: «وخص الشمس بالضياء لأنه أقوى وأكمل من النور، وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء، ولأنهما إذا تساويا لم يعرف الليل من النهار، فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر»[2].

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

أي: جل شأن الله تعالى وتكاثرت آلاؤه ونعمه، فهو سبحانه الذي جعل في السماء (بروجا) أي: منازل للكواكب السيارة و (وجعل فيها) أي: في السماء (سراجا) وهي الشمس (وجعل فيها) أيضًا (قمرًا منيرًا) أي: قمرًا يسطع نوره على الأرض المظلمة، فيبعث فيها النور الهادي اللطيف[3].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح:١٥-١٦].

قال الألوسي: «قوله: (وجعل القمر فيهن نورًا) أي: منورًا لوجه الأرض في ظلمة الليل، وجعله فيهن مع أنه في إحداهن- وهي السماء الدنيا- كما يقال: زيد في بغداد. وهو في بقعة منها. والمرجح له الإيجاز والملابسة بالكلية والجزئية، وكونها طباقا شفافة، (وجعل الشمس سراجًا) يزيل الظلمة، وتنوينه للتعظيم، وفي الكلام تشبيه بليغ، ولكون السراج أعرف وأقرب جعل مشبها به، ولاعتبار التعدي إلى الغير في مفهومه بخلاف النور كان أبلغ منه»[4].

وقال ابن عاشور: «وفي جعل القمر نورا إيماء إلى أن ضوء القمر ليس من ذاته، فإن القمر مظلم، وإنما يستضيء بانعكاس أشعة الشمس على ما يستقبلها من وجهه، بحسب اختلاف ذلك الاستقبال من تبعض وتمام، هو أثر ظهوره هلالًا ثم بدرًا»[5].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٣٥٨.
(٢) حاشية الجمل على الجلالين، ٢/ ٣٣٤.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٩/ ٢٨٨.
(٤) روح المعاني، ٢٩/ ٧٥.
(٥) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٢٠٤.

القمر والحساب

جاء الإسلام ليصحح نظرة البشر إلى الظواهر الكونية، فبعد أن كانت في الوثنيات آلهة تعبد، أصبحت عند المسلم مخلوقات خلقها الله بقدر وحساب، لتحقق الحكمة من وجودها، ولتقوم بوظيفة خلقها، ويبقى الإنسان هو الخليفة الذي سخرت له كل هذه المخلوقات وكل هذه القوانين، وما عليه إلا أن يستخدم عقله وفكره وقدراته لتحقيق وظيفته في الكون باعتباره الخليفة السيد، ويكون ذلك على أتم صورة عندما يوظف القوانين والسنن الكونية، وعندما يلتزم القوانين والسنن التشريعية.

أولًا: منازل القمر:

قبل الحديث عن الآيات التي تحدثت عن منازل القمر، هذه لمحة سريعة عن منازل القمر:

لوحظ من القدم أن القمر في دورته حول الأرض يتحرك في كل ليلة من ليالي الشهر القمري بين ثوابت من النجوم التي يسمي كل منها منزلًا من منازل القمر، وعلى ذلك فإن عدد منازل القمر هو ٢٨ بعدد الليالي التي يري فيها القمر، ولما كان القمر في جريه مع الأرض حول الشمس يمر عبر البروج السماوية الاثني عشر التي تمر بها الأرض فإن كل منزل من منازل القمر يحتل مكانا معينا في كل برج من هذه البروج، والقمر يقطع في كل ليلة ١٣ درجة تقريبا من دائرة البروج تلك، وعلى ذلك فإن البرج الواحد يقع فيه أكثر من منزل من منازل القمر، ويعتمد ذلك على مساحة البرج في السماء، وقد تعرف العرب على منازل القمر من قبل البعثة المحمدية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعرفوا أهميتها في تحديد الزمن، وفي إعداد التقاويم الزراعية، وسموا الشمالية منها باسم المنازل الشامية، والجنوبية منها باسم المنازل اليمانية.

قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

المنازل جمع منزل، والمراد بها أماكن سير القمر في كل ليلة، وهي ثمان وعشرون منزلًا، تبدأ من أول ليلة في الشهر إلى الليلة الثامنة والعشرين منه، ثم يستتر القمر ليلتين إن كان الشهر تامًا، ويستتر ليلة واحدة إن كان الشهر تسعا وعشرين ليلة، والمعنى: أي: وقدرنا سير القمر في منازل، بأن ينزل في كل ليلة في منزل لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، إذ كل شيء عندنا بمقدار(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٨].

اتساق القمر: اجتماع ضيائه ونوره، وهو

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٤/ ١٦.

Made searchable using ScribeTools.com

افتعال من الوسق، وهو الجمع والضم، وذلك يكون في الليلة الرابعة عشرة من الشهر، وهو منزل من منازل القمر، والمعنى: أقسم بالقمر إذا ما اجتمع نوره واكتمل ضياؤه وصار بدرًا متلألئًا[(١)].

ثانيًا: حساب الشهور والسنين:

قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٨٩].

الأهلة: جمع الهلال، وهو الكوكب الذي يبزغ في أول كل شهر، ويسمى هلالا لثلاث ليال أو لسبع ليال من ظهوره، ثم يسمى بعد ذلك قمرا إلى أن يعود من الشهر الثاني، والمواقيت: جمع ميقات بمعنى الوقت، وهو ما يقدر لعمل من الأعمال، وقيل: الميقات منتهى الوقت، والمعنى: يسألك بعض الناس عن الحكمة من خلق الأهلة، قل لهم يا محمد إن الله تعالى قد خلقها لتكون معالم يوقت ويحدد بها الناس صومهم، وزكاتهم، وحجهم، وعدة نسائهم، ومدد حملهن، ومدة الرضاع، وغير ذلك مما يتعلق بأمور معاشهم[(٢)].

قال طنطاوي: «وخص الله المواقيت بالأهلة وأشهرها دون الشمس وأشهرها، لأن الأشهر الهلالية تعرف برؤية الهلال ومحاقه، وذلك ما لا يخفى على أحد من الخاصة أو العامة أينما كانوا، بخلاف الأشهر الشمسية، فإن معرفتها تتبنى على النظر في حركات الفلك وهي لا تتيسر إلا للعارفين بدقائق علم الفلك»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥].

أي: الشمس والقمر يجريان في هذا الكون بحساب دقيق في بروجهما ومنازلهما، بحيث لا يشوب جريهما اختلال أو اضطراب، وبذلك يعرف الناس السنين والشهور والأيام، ويعرفون أشهر الحج والصوم، وغير ذلك من شئون الحياة، وبهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠][(٤)].

وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ف ف ق ق حُسۡبَانٗا﴾ [الأنعام: ٩٦].

أي: وجعل الشمس والقمر يجريان في الفلك بحساب مقدر معلوم لا يتغير ولا يضطرب حتى ينتهي إلى أقصى منازلهما بحيث تتم الشمس دورتها في سنة ويتم القمر دورته في شهر، وبذلك تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الأربعة وغيرها[(٥)].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٥/ ٥٤٨.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٣/ ٥٥٣.
وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ٣٤١.
(٣) التفسير الوسيط، ١/ ٤٠٤.
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٢٢٣.
(٥) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٥٨.

القمر وقيام الساعة

من الحقائق المقررة في عقيدتنا وفي ديننا الإسلامي أن يوم القيامة آت لا ريب فيه، وقد أقام الله عز وجل علامات تدلنا على قرب الساعة ودنو أجلها، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

ومن علامات الساعة التي قررها العلماء انشقاق القمر، هذا ما سنتناوله من خلال النقاط الآتية.

أولًا: من علامات الساعة:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

افتتحت سورة القمر بهذا الافتتاح الذي يبعث في النفوس الرهبة والخشية، فهو يخبر عن قرب انقضاء الدنيا وزوالها.

وقوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ أي: انفصل وانفلق القمر بعضه عن بعض فلقتين معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك بمكة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم بنحو خمس سنين، وقد رأى هذا الانشقاق كثير من الناس، وقد ذكر المفسرون كثيرا من الأحاديث في هذا الشأن، وقد بلغت الأحاديث مبلغ التواتر المعنوي.

قال الإمام ابن كثير: «وهذا أمر متفق عليه بين العلماء- أي: انشقاق القمر- فقد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وإنه كان إحدى المعجزات الباهرات»(١).

ثم ذكر رحمه الله جملة من الأحاديث التي وردت في ذلك، أخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: (**انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين: فرقةٌ على هذا الجبل، وفرقةٌ على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمدٌ، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم**)(٢).

وروى الشيخان عن ابن مسعود قال: **انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين، حتى نظروا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشهدوا)**(٣).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ وكان انشقاقه بمكة قبل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٤٧٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٦٧٥٠، ٢٧/ ٣١٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين...، رقم ٣٦٣٦، ٤/ ٢٠٦، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، رقم ٢٨٠٠، ٤/ ٢١٥٨.

Made searchable using ScribeTools.com

الهجرة»[1].

ثانيًا: حال القمر عند قيام الساعة

قال تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨-٩].

والمراد بخسوف القمر: انطماس نوره واختفاء ضوئه، والمراد بجمع الشمس والقمر اقترانهما ببعضهما بعد افتراقهما واختلال النظام المعهود للكون اختلالا تتغير معه معالمه ونظمه. وجواب فإذا قوله: ي﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ﴾ أي: فإذا برق بصر الإنسان وتحير من شدة الفزع والخوف بعد أن رأى ما كان يكذب به في الدنيا[2].

قال ابن عاشور: «وخسوف القمر أريد به انطماس نوره انطماسا مستمرا بسبب تزلزله من مداره حول الأرض الدائرة حول الشمس بحيث لا ينعكس عليه نورها ولا يلوح للناس نيرا، وهو ما دل عليه قوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

فهذا خسوف ليس هو خسوفه المعتاد عند ما تحول الأرض بين القمر وبين الشمس. ومعنى جمع الشمس والقمر: التصاق القمر بالشمس فتلتهمه الشمس، لأن القمر منفصل من الأرض التي هي من الأجرام الدائرة حول الشمس كالكواكب، ويكون ذلك بسبب اختلال الجاذبية التي وضع الله عليها النظام الشمسي»[3].

موضوعات ذات صلة:
الآيات الكونية، السماء، الشمس، النجوم، الليل

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة ص ١٠.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٠/ ٧٢٣. وانظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٤٠١.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٤٥.